

فيه عزله عن عناصر الصراع المادية التي هي الالهة غالباً ولها الأولوية في تحديد طبيعة الصراع ونتائجه وفي خلق اضافات نظرية جديدة الى الوعي الانساني.

لن نخوض في هذا الجانب النظري للموضوع، ولكن نشير، بسرعة، الى بعض النقاط العملية التي تواجه اغلب الاحزاب الثورية، والتي كثيراً ما تختلف الاجتهادات حولها، من حزب الى آخر.

لنتاول مثلاً، موضوع تعبئة العمال والفلاحين المحرومين في مطلع الثلاثينات. طبعاً، لا يمكن ان تتم تعبئتهم عفوية الا عبر تطور تاريخي طويل واحداث تاريخية معقدة، ومثلما يمكن ان يكونوا جزءاً من التركيب الموجب (سنتيز، Synthesis) في مجرى التحولات التاريخية، يمكن ان يكونوا جزءاً من الاطروحة السالبة في ذلك المجرى (الانتي تيز Antithesis)، كما كان الامر بالنسبة للهنود الاميركيين، او لنظائرهم في مختلف القارات.

من اجل تعبئتهم الارادية والعقلانية يجب، قبل كل شيء، ان يوجد الطرف الذي يقوم بالتعبئة، وهو، هنا، الطليعة الثورية المنتظمة في حزب ثوري. لكن الى اي مدى تملك الطليعة الوسائل الايديولوجية والمادية؟ ذلك يختلف من مكان الى آخر، من جهة، ولا يتم بشكل منعزل، من جهة ثانية، ويتعلق بالبنية الاجتماعية والتنظيمية لحزب، من جهة ثالثة.

يجب، ايضاً، الوصول الى العمال والفلاحين، وليس ذلك بالعملية السهلة. طبعاً، الاتصال الشخصي ضروري واساسي، لأنه، وحده تقريباً، الذي يرفد الطليعة الثورية بالامكانيات البشرية المنظمة الجديدة، ولكنه، مهما كان واسعاً ومكثفاً، فانه يبقى محدوداً نسبياً، وغير كافٍ، ويحتاج، في نفس الوقت، الى التغلب على عقبات كبيرة، يدخل التغلب عليها في صلب الكفاح الثوري.

احدى العقبات الهامة تتكون من الحواجز المادية التي تصنعها التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية البورجوازية، او الرجعية؛ فالراسمالي يمنع الاتصال بعماله، والاقطاعي يمنع الاتصال بفلاحيه او اجرائه، والمعلم يمنع الاتصال بصناعه، والزعيم الديني او السياسي يمنع الاتصال بطائفته او بكتلته، والدولة الرأسمالية، او الاقطاعية، او الرجعية بشكل عام، تمنع النشاط الثوري، وحتى النشاط السياسي، في مناطق سيطرتها.

ومن العقبات الكبيرة، الحاجز المعنوي الذي تصنعه الاوساط الفقيرة المضللة، نفسها، امام العمل الثوري. كذلك، تتحول الانتماءات القبلية والعرقية الطائفية، بمختلف صيغها، الى اوهام راسخة تحجب الطريق الثوري عن قطاعات واسعة من الفئات الاجتماعية المستغلة، وتدفعها في خدمة مستغليها. هذه الانتماءات هي التي يعتمد عليها اسياد الانظمة الرجعية من اجل تسخير اعداد كبيرة من البشر في نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. الفئات الاجتماعية المستغلة هي التي تنتج للاسياد الرجعيين، وهي التي تقدم لهم كل انواع الخدمات على الاطلاق، ومنها الخدمات القمعية والحربية، وهي التي تتلقى، أخيراً، كل انواع الصدمات عنهم، فتحصد الموت او العاهة في الحرب، والفقر او البطالة في السلم، والعار او السجن في الخدمات القذرة، او غير المشروعة، الخ، وتحصد كل انواع ما يسمى بـ«الفساد» في المجتمع.

وافراد الفئات المستغلة يلتصقون، في ظرف ما تاريخي، بالمستغلين، لا بدافع انتماء ما نظري او ايديولوجي فقط، وانما بتركيب متشابك، يتعزز فيه خيط الشد الاجتماعي بالمصلحة